

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية - جامعة تلمسان -	ثقافة السلم واللاعنف	بوزيدى محمد
---	----------------------	-------------

تقديم :

لا أحد ينكر أن السلام مبتغى كل إنسان ، وكل مجتمع . ولا أحد يمكنه أن يتجاهل فضائل السلم على الحياة البشرية في تحقيق النمو الاقتصادي والطمأنينة والاستقرار وتكريس مبادئ الحرية والتسامح والعدل في ربوع المعمورة .

ولاشك أن المؤسسات التعليمية تقوم بالدور الأكبر في نشر هذه الثقافة التي ستخفف من معاناة البشرية ويلات العنف والحروب والصراعات ؛ لأن المؤسسة التعليمية معين لا ينضب من الأخلاق والمبادئ السامية ، ومنبع تخرج الأجيال قادة المجتمعات .

وما تعرضنا في هذا الموضوع لظاهرة العنف والانحراف إلا من باب معرفة أسباب الداء قبل وصف الدواء ؛ لعله يساهم - ولو بقسط يسير - في رسم معالم نهج ترقية ثقافة السلم واللاعنف .

والسلم قيمة مرتبطة بتطور الإنسانية ومستقبلها ارتباطا لا ينفصم ، وقيمة شرعية مشتركة بين جميع البشر ، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ، لا ريب أن كل الشعوب تتطلع إلى العيش في كنف السلم والوئام ؛ خاصة تلك التي ذاقَت مرارة الحروب والفتن . فما معنى السلم يا ترى ؟

لقد ورد عن اللغويين القدامى : السلم والسلام 1 بمعنى واحد . ومن التعاريف الغوية التي وردت في لسان العرب : السام والسلامة : البراءة . وتسلم منه تبرأ .

والسلامة العافية . ومعنى قوله تعالى : <<سلام هي حتى مطلع الفجر>> 2 . أي لا داء فيها .

وقوله تعالى: وإذا خاطبهم الجاعلون قالوا سلاما ؛ معناه تساما وبراءة لا خير بيننا وبينكم ولا شر

ونستخلص من هذه المفاهيم اللغوية أن السلم مرتبط بالبراءة، والخير والعافية؛ وهو نقيض الشر والآفة والقبح والنقص 3.

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة السلم في العصر الحديث، فلا شك أنها تعني إحدى أسباب ثقافية وثقافيا، وسياسيا؛ فلا نمو لما ذكر سابقا في غياب السلام والأمان معا.

ومن ههنا نفهم بيسر أن السلام معناه استمرار النوع البشري في تعمير الأرض، وازدهار الأمم في شتى الميادين، وبعبارة جامعة - السلام هو الحياة - أما نقيض السلم فهو العنف، والحرب والدمار والخراب.

ولما كان الموضوعان مرتبطين بالتضاد، فلا بد أن نتعرض لهذه الطاهرة الخطيرة التي نغصت حيلة الشعوب، وعرقلت نموها وأداء دورها الحضاري الإنساني. مفهوم العنف: نقتصر هنا على تناول المعنى الاصطلاحي للكلمة: فاعنف هو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع، أو غير مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة الفرد 5.

والعنف أشكال وأنواع؛ إذ نجد العنف الفكري، والاجتماعي والإداري، والسياسي، وكل ينال من استقرار الوطن والمواطن، ويزعزع أمنه قصد فرض رأي أو عمل أو فكرة، أو نمط حياة، أو نظام معين.

أسبابه: إن أسباب تفشي ظاهرة العنف متعددة، والعوامل المساعدة على انتشارها وتغذيتها كثيرة ومختلفة، مما يتيح انتشار الفساد، وزهق الأرواح وتحطيم الاقتصاد. وهي نتائج تؤثر في وجدان المجتمع، فيعيش القلق والاضطرابات، فلا يهدأ أبال، ولا تطمئن القلوب، ولا تسكن نفوس. فكيف يفكر في عمل، أو في بحث، أو في إنتاج. وتحمل هذه الأسباب في مجملها كثيرا من معاناة المراهقين والشباب، الاجتماعية منها

والفكرية، فيحاولون الهروب من هذا الواقع الصعب، أو إيجاد مخرج لمستقبلهم، فيقعوا فريسة سهلة في شرك من يستغل الظروف، ويجعل منها تجارة مربحة، فيجدون أنفسهم في صفوف التطرف.

وهنا تظهر أهمية المدرسة والجامعة لتعريف النشء بالمبادئ الإنسانية النبيلة التي تحت على الود والتواصل، والعدالة والأخوة، والمحبة، والتفتح على الرأي الآخر وعدم نصب العداء للطرف الآخر، وبذلك نصون الشباب ونحصنهم ضد المفاهيم المتطرفة التي تزرع بذور الكراهية والحقد وعدم الاحترام لكل من يحالفنا الرأي والمعتقد وبذور الفتنة والقسوة والعنف.

ويري الباحثون في هذا المجال أن أسباب هذه الظاهرة عديدة، نلخصها في الأنواع الآتية:

أسباب اقتصادية: يعد من أهم الأسباب في جنوح الشباب إلى العنف، فتفشي البطالة، وسوء الأوضاع المادية تجعل نفوس الشباب مرتعا خصبا لكل الأفكار المغرية.

أسباب اجتماعية: يترتب عن الأسباب الاقتصادية السالفة الذكر، أسباب اجتماعية: إذ بتدهور الاقتصادية تتدهور الأوضاع الاجتماعية تنفك الرابطة الأسرية نتيجة تعقد المشاكل، ومن هنا يتكون الشعور بالتمييز، وفقدان الثقة، فتصبح النفوس مهيأة لتقبل أي فكرة تنادى بتغيير الأوضاع ومهما كانت وسائل هذا التغيير.

أسباب ثقافية: إذا كانت السلطات العمومية لا تولي اهتماما للثقافة وشوهدت مفهومها وحصرته في الفلكلور والرقص والغناء فقط، ولم تعط أي أهمية ودور للمثقف عامة والباحث خصوصا في تجنيد الطاقات وتوجيهها - خاصة الشابة منها - فإن ذلك يولد صراعا بين هؤلاء والسلطة، ويمتد إلى أوساط الشباب، فتكون الجماعات المتطرفة تحت غطاءات مختلفة.

ولكل ثقافة مبادئ وأسس تبني عليها، وعلى المجتمع أن يراعي التوازن بينها وبين متطلبات البناء الحضاري والعصرية. وإذا اختل التوازن فإنه ينشأ صراع بين المجددين والمحافظين يؤدي إلى التعصب. وزرع بذور العنف بدل غرس ثقافة الفكر القويم، وثقافة السلمة السلام.

أسباب سياسية: عندما تتسلط الإدارة على المواطن، وتسيطر على لشؤون المجتمع حتى يصبح الفرد لا يسأل عن سبيل القانونية للقيام بنشاط ما، بل يبحث عن له نفوذ في دواليب الإدارة لتحقيق أغراضه، ولو كانت غير قانونية: فإن المجتمع -خاصة الشباب- يشعر بخيبة أمل.

ويقول علماء الاجتماع أن السياسة الاجتماعية الرشيدة، هي تلك التي تعالج أمور المجتمع باللمس لا نظرة السياسي الذي يعيش فوق المجتمع، سابحا في النظريات الفوقية 7.

وأما كان العنف مرتبطا بالانحراف، فلا بد إذن من أن نخرج علي هذا الموضوع؛ خاصة انه نال قسطا وفيرا من اهتمام الدارسين من علماء الاجتماع، من حيث هو ظاهرة نفسية سلوكية فردية.

والانحراف بمفهومه الواسع هو انتهاك التوقعات والمعايير الاجتماعية. 8 والخروج عن المؤلف في التصرفات 9 التي عادة بالسيئة. وتطور مفهوم الانحراف أو الجنوح 10 بعد نشر <albert cohen> سنة 1955 لكتابه / الأولاد المنحرفون / حيث يري أن الجنوح نموذج مستمر في الانحراف لفترة زمنية وليس ارتكاب فعل منحرف. ولا يكون الشخص إلا إذا اتخذ منه الانحراف أسلوبا لحياته. 11 أخطار العنف: لا يختلف اثنان في كون الشباب أكثر الناس تعرضا لممارسة العنف، فهم ضحاياها بالتغريبهم نوههم أيضا ضحايا ه المستهدفة. ولهذا فإنه من الأهمية أن نتعرض لبعض مقومات شخصيات المراهقين والشباب.

إن المراهقة مرحلة الانتقال البدني وعقلي ووجداني، واجتماعي بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب، 12 ومن ثمة تكتسي أهمية في حياة الفرد وتكوين شخصية لما يصاحبها من تغيرات كبيرة لها آثار عديدة علي شخصيته.

وتستغل قيادات الجماعات المتطرفة هذه التحولات في هذه المرحلة لجذب العناصر الشبابية المراهقة إلى نشاطها الظاهري في البداية، ثم التطرف والعنف والعصيان واهم المظاهر التي تستغل لدى هؤلاء الشباب التحولات النفسية، المرتبطة بالتغيرات العضوية، إذ تنشط الغدد التناسلية، ويزداد النمو العظمي 13 مما يجعل المراهق يشعر أنه أصبح راشدا مستقلا بشخصيته وتصرفاته. فيحاول أثبات وجوده الشخصي باتخاذ قرارات بفرده، ويتعامله مع الراشدين دون وساطة.

كما أن المراهق يشعر في هذه المرحلة باليأس والكآبة، ويبحث تلقائيا عن متنفس، لكنه يقع ضحية من يستغل ظروفه، فيوجه وجهة أخرى؛ خاصة إذا كانت الأسرة قد تخلت عن دورها في التربية وتوجيه المراهق الوجهة السليمة وتحصينه فكريا من يقبل رأى كل ناعق. ومما زاد طين بلة في هذا الأمر عدم فهم أغلبية الأسر لخصوصيات هذه المرحلة وخطورتها نو أهميتها على مستقبل الفرد والأمة. لذا يجب على المدرسة والجامعة بصفة خاصة وضع استراتيجيه لتعامل مع هذه المرحلة وتهيأت الجو الملائم للتعامل معها حتى لا يقع شبابنا لقمة سائغة.

مقومات سياسة السلم: >> لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصية>> 14 هذا ما ورد في المادة الثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. والحق في الحياة يقتضى السلم والاستقرار؛ والحق في الحرية، يستلزم السلم والاستقرار وسلامة الشخص هي عيشه في كنف السلم والاستقرار والأمن.

والسلم قيمة مرتبطة بتطور الإنسانية ومستقبلها ارتباطا لا ينفصم، وقيمة شرعية مشتركة بين جميع البشر، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها حتى يتمكن الشباب - ومن خلاله المجتمع - من تحقيق ذاته في الحياة بالعمل والنشاط الإبداعي. 15.

ويفهم من هذه الأقوال أن السلم أساس الحياة، والتطور والإبداع؛ لأن الفرد يعيش في مجتمع بشري، يكافح من أجل البقاء؛ فإذا ساد السلم هذا المجتمع، وغمرته الطمأنينة، وعمه الاستقرار أدنى مستواه، ويبحث في وسائل أخرى؛ فيؤدي ذلك بالطبع إلى الإبداعات الفكرية مدفوعا إلى ذلك بحب الإنسان الاكتشاف، وطرق ما لم يطرق.

ومتى وجد المرء الطمأنينة، لا يخشى على نفسه، ولا على أسرته، فإنه بذلك يتفرع للبحث إن كان باحثا، ولإنتاج إن كان صانعا. وهذا تنشأ المنافسة الشريفة، وتصبح الجودة في المقياس، سواء كانت سلعا أو خدمات.

سياسة نشر ثقافة السلم: صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اللائحة رقم 15-52 بتاريخ 20/11/1997، التي تنص على إعلان سنة 2000 سنة عالمية لثقافة السلم واللاعنف 16. وسميت هذه اللائحة ببيان 2000 إلى جانب فقد أعلنت أيضا أن العشرية 2001-2010 عشرية عالمية لترقية ثقافة السلم واللاعنف حيال الأطفال العالم 17 وعلى المجتمع بمختلف مؤسساته أن ينشر ثقافة السلم، وتنشئة الأجيال على مبادئ العدالة والحرية والتسامح.

وقد جاء في ديباجة دستور اليونسكو: لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ففي عقولهم يجب أن تشيد حصون السلام. 18.

وتطبيقا لهذه المقولة، أسندت مهمة تنفيذ هذا البرنامج على الصعيد العالمي إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو (unesco)، لأن مثل هذا التغيير يقتضى مشاركة الجميع. ولزرع هذا التغيير في نفوس الشباب والأجيال، لابد من ثقافة مبنية على القيم الإنسانية والمواقف البشرية والسلوكات الحضارية، مثل: احترام حقوق

الإنسان ،التنوع الثقافي ،الحريات الفردية والجماعية تبني العدل والدفع عنه ،التسامح والتضامن ...الخ.ولا غرابة في أن جلب هذه المبادئ قد تنبها الإسلام منذ أزيد من أربعة عشر قرنا .

وقد شهدت الجزائر خلال الأعوام الماضية هذه الويلات ،وانعكست نتائجها الوخيمة على كل شرائح المجتمع ، فدعى السيد رئيس الجمهورية إلى العمل في سبيل السلم والاستقرار ،جاعلا ذلك أولوية الأولويات ؛وجسد ذلك في مسعى << قانون الوثام المدني >>:الذى صادق عليه الشعب بأغلبية ساحقة في أفريل 1999؛ وبذلك يكون السيد الرئيس أول زارع لبذور ثقافة السلم التي ينشدها العالم .

وحق يحل السلم ويستمر ، لا بد من أن يكون موضع تشجيع وعناية دائمة ينقله من جيل إلى جيل ؛ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التربية بمفهومها الواسع ؛وعلى مستويات مختلفة مترابطة ، فالأسرة دور وللمدرسة دور والجامعة دور وللإعلام دور وللرياضة دور وللجمعيات والتنظيمات الشبابية دور أيضا .

1 - دور الأسرة :يتفق علماء النفس على أن الكثير من الاتجاهات الفردية والميول الفكرية والعاطفية الأساسية تتكون في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من الحياة الطفل .وأن السنوات ما قبل المدرسة على الخصوص لها تأثير كبير في تعرف الطفل على نفسه ، وإدراك علاقاته بالغير . 19

نشأة الطفل على حب الآخرين والتعاون معهم ، وحل خلافاته معهم بطرق سليمة تتوقف بدرجة أولى على ما يتلقاه من أبويه من رعاية واهتمام ، وتجسيد هذه الرعاية بتوجيه وتنمية مشاعره نحو إدراك نفسه وبيئته ومحيطه المباشر . ويقول المربون أن الطفل يتعلم المحبة من حبناله ، والثقة بغيره من تنمية ثقته بنفسه وبالمحيطين به 20؛ وبذلك يتكون توجه الطفل نحو الآخرين ، وتنشأ لديه المشاركة الوجدانية ، وروح التعاون .

2 - دور المدرسة: بينت الدراسات الحديثة أن الفترة السادسة إلى الرابعة عشرة من العمر، فترة حاسمة في تكوين نظرة الأطفال إلى الثقافات الأخرى²¹. وهي الفترة التي تتزامن وجود الطفل في المدرسة. ومن ثم فإن المسؤولية الملقاة على عاتق معلم المدرسة مسؤولية عظيمة وخاصة: فهو لا ينمي حصيلة التلاميذ من المعلومات والمهارات فحسب، بل يؤثر أيضا في حسهم الثقافي وشعورهم بالمسؤولية المدنية والإنسانية²²، إذن، فدور المدرسة دور مهم جدا في نشر ثقافة السلم، وترسخ مبادئها؛ وهذا ما يسمى بالتربية الفعالة. وبذلك نتمكن من وقاية الفرد وجعله مساهما في بناء السلم، لا متلقيا فقط.

3 - دور الإعلام: لا أحد يجهل دور الإعلام في نشر الثقافة عموما؛ خاصة في هذا العصر الذي ساد استعمال الوسائط الإلكترونية. والإعلام بمفهومه الواسع وسيلة تعبير واتصال بأشكال متنوعة: المكتوبة، المسموعة، والمصورة²³. ولما كان تأثير الإعلام قويا على المجتمعات، فقد جعلت منه الدول المتقدمة سلاحا تغزو به عقول الناس وعواطفهم، فيه تبتث أفكارا وتجارب، وتنبى اتجاهات وتحد أخرى

ولهذا اعتمدت وسائل الإعلام في كل المجالات: الثقافية، التربوية الاقتصادية، والعلمية؛ لأن من يملك معلومة يملك سلاحا. ومن هنا نستنتج أهمية وسائل الإعلام في نشر ثقافة السلم. وفي هذا الصدد أوصت العديد من المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية بأهمية دور الكتب المجلات والمطبوعات في تربية وتثقيف الفرد وتأثيرها على تكوين شخصيته ولا ينبغي الاستهانة بضرورة الاختيار لما يقرأ أطفالنا وطلابنا من كتب ومجلات، فإن انتقاء ما يخدم ثقافة السلم عمل هام تقوم به الأسرة والمدرسة، وكل من يشغل في حقل الثقافة والنشر²⁴.

4- دور الهيئات والجمعيات: >>إن ثقافة السلم كفاح دائم ضد جذور العنف

<25. هكذا عرف أحد المشاركين في الملتقى الدولي الذي نظمه المرصد الوطني

لحقوق الإنسان ، في موضوع : الأشكال المعاصرة للعنف ، وثقافة السلم .

وما ثقافة السلم إلا ثقافة ديمقراطية بمفهومها العالمي العميق : احترام

حقوق الإنسان ، إقامة شروط الحوار في كل أجهزة المجتمع (السلطات

العمومية، المدارس، المؤسسات الاقتصادية ، المستشفيات ، في القرى والأحياء

الحضرية...) فهي إذن البحث عن مختلف أشكال الأمن الديمقراطي²⁶، ولهذه

الأسباب فإن نشر ثقافة السلم تستوجب توظيف كل الإمكانيات في كل

المقطعات الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وحتى الدينية

لتحقيق الهدف.

الخاتمة: إذا ما تضافرت جهود الأسرة والجامعة والمدرسة والإعلام والجمعيات

فإنها ستبني مجتمعا راسخ الجذور، شامخ الطموح بتحقيق القيم الإنسانية

السامية، والتعاون والتكامل مع المجتمعات الأخرى، ويساهم في البناء الحضاري

للإنسانية، ويؤدي الدور الذي خلقه الله من أجله، ألا وهو عمارة الأرض.

الهوامش

1. الفراء: نقلا عن لسان العرب مادة «سلم».
2. سورة الفرقان، الآية 63.
3. الفراء: نقلا عن لسان العرب مادة «سلم».
4. مجلة مستقبلات (اليونسكو): العدد 50، سنة 1984.
5. يسري دعبس، الإرهاب، دار المعارف المصرية.
6. المرجع السابق، ص 06.
7. المرجع السابق، ص 13.
8. الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، محمد سلامة - محمد غباري.
9. المنهل: قاموس فرنسي عربي، سهيل إدريس.
10. تستعمل أيضا كلمة «جناح» بمعنى الانحراف.
11. محمد سلامة - محمد غباري، المرجع السابق.
12. a.cohen.the study of social disorganisation p 19.
13. يسري دعبس، الإرهاب، ص 20.
14. التربية الجديدة، يوندباس، ص 58.
15. دلي ميهي برليبا، مجلة مستقبلات العدد 50.
16. ملحق منشور وزارة التربية الوطنية رقم 911، سنة 1999.
17. المنشور السابق.
18. مجلة مستقبلات (اليونسكو): العدد 50، سنة 1984.
19. التربية من أجل التعاون والسلام الدولي في مرحلة التعليم الابتدائي، اليونسكو، سنة 2001.
20. المرجع السابق.
21. إعلام الطفل، مجمد معوض، دار الفكر العربي، 1998.
22. المرجع السابق ص 13.
23. س. ميخائيلسكي. ولوزبارادي، العنف والانحراف في الوسط المدرسي.
24. إعلام الطفل، مجمد معوض، دار الفكر العربي، 1998.
25. meyer-bisch-colloque international-oM.D.H.alger-p97.
26. المرجع السابق.